



تَحْرِيمُ الْخَلْوَةِ
بِالْمَرْأَةِ الْأُجْنَبِيَّةِ

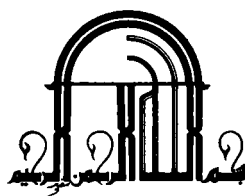
تأليف

الدكتور محمد بن لطفي الصبّاغ

تحريم الخلوة بالمرأة الأجنبية والاختلاط المستهتر

تأليف

د. محمد بن لطفي الصباغ



الطبعة الأولى عام ١٣٩٩ هـ

الطبعة الثانية عام ١٤٠٠ هـ

الطبعة الثالثة عام ١٤٠٠ هـ

الطبعة الرابعة عام ١٤٠٨ هـ

الطبعة الخامسة عام ١٤٠٩ هـ

الطبعة السادسة عام ١٤١٠ هـ

الطبعة السابعة عام ١٤١٠ هـ

الطبعة الثامنة عام ١٤١١ هـ

رمضان ١٤١١ هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

تقديم

لسماحة العلامة الشيخ عبدالعزيز بن عبدالله بن باز

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبي

بعده . . . وبعد:

فقد اطلعت على الرسالة الموجزة القيمة التي ألفها
أخونا فضيلة الشيخ محمد لطفي الصباغ، وسمعتها
كلها، فألفيتها جيدة ومفيدة في بابها، إذ اشتملت
على بيان تحريم الخلوة بالمرأة الأجنبية، واختلاطها
بالرجال الأجانب، مستنداً في ذلك إلى الآيات
القرآنية، والأحاديث النبوية الشريفة، كما أوضح
للقارئ مساوىء الخلوة والاختلاط من خلال
الحوادث التي وقعت بسببها، ونتج عنها ما لا تحمد
عقباه، مما يجر على الأمة البلاء العظيم، والخطر
الجسيم، فجزاه الله خير الجزاء، وزاده من العلم
والهدى، ونفع بكتابه هذا، وجعلنا وإياه وسائر
إخواننا المسلمين من الهداة المهتدين الداعين إلى الله

على بصيرة، إنه سميع قريب، وصلى الله وسلم
وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

عبد العزيز بن عبد الله بن باز
الرئيس العام لإدارات البحوث العلمية
والإفتاء والدعوة والإرشاد

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مقدمة

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ نَحْمَدُهُ وَنُسْتَعِينُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِهِ
مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا، وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِ اللَّهُ
فَلَا مَضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يُضِلُّ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ
لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

أما بعد :

فإنَّ هذه الرسالة هي في الأصل كلمة ألقيتها من
إذاعة الرياض، فاستمع إليها الناس، وأبلغني كثير منهم
عن سرورهم منها، ورغبتهم في أن توسع وتنشر،
ولكنني لم أجد الوقت لتنفيذ هذه الرغبة، حتى
عمدت كلية الهندسة في جامعة الرياض إلى طبعها في
رسالة ضمن نشرات لجنة النشاط الثقافي، ووزعتها
على الناس، جزى الله الإخوة الأكارم في هذه الكلية
الذين قاموا بذلك أحسن الجزاء، وتداولتها الأيدي،
وبلغني أن بعض الأفاضل طبعوها على الآلة الكاتبة

ووزعوها، ثم طُبعت في شركة الطباعة العربية
السعودية، جزى الله القائمين عليها كل خير.

وقد نظرتُ فيها خلال رحلة لم تكن معي المراجع
الكافية، فزدت فيها بعض الزيادات، وكتبت لها
هذه المقدمة، وإنَّ لهذا الموضوع أهمية كبرى، لأنَّ
وضع المرأة يدل على طبيعة الأمة، فمظهرها
ومعاملتها يبرزان هوية المجتمع، ويقرران مستقبل
الأمة.

وإنَّ الكيد الذي يُكاد للمسلمين، كان قسمٌ كبيرٌ
منه موكولاً إلى المرأة، لإفسادها وإخراجها إلى ميدان
الفتنة والابتدال. . . ولقد كانت المرأة هي الخاسرة في
هذه المؤامرة القذرة، وبخسارتها العظمى فقد
المجتمع توازنه وسعادته وأمنه وراحته.

وإنني من أجل هذا أقدم هذه الرسالة نصيحة
والدِّ إلى بناته وفتياته، أُنذرهنَّ من الخطر الماحق،
والمهانة الضخمة، والضياع في الدنيا والآخرة،
والسقوط في نظر الناس جميعاً: فاسقين وصالحين.

أُقدِّمها وأنا في سنِّ الخمسين، ولا همَّ لي إلا أن

أجنب أمتي المزيد من الأخطار، مما رأيت وسمعت
خلال تجربتي الطويلة .

إنَّ هناك تآمراً رهيباً ضد المرأة المسلمة، يقوم به
ناس لا يخافون الله، ولا يخشون العار ولا الفضيحة،
لأنهم ليسوا متدينين ولا غيراً، فليس لكثير منهم
زوجات ولا بنات، ولا يتقون يوماً يسألون فيه عمّا
يعملون، وإن كان لبعضهم زوجات وبنات، فليس
عندهم من الغيرة شيء، حتى ولا التي توجد عند
بعض الحيوان .

أما نحن فإنَّ ديننا هو الذي يحملنا على أن نُسدي
النصحَ خالصاً لبناتنا وأخواتنا وأمهاتنا، وننذرهن من
العاقبة الوخيمة، التي تنتظرهن إن هنَّ فرطن في حق
دينهنَّ .

إن الدعوة لخروج المرأة من البيت لتخالط الرجال
جرّ المآسي والكوارث^(١) وقد بدأ براقاً جذاباً لتكون

(١) وإليك هاتين الحادثتين اللتين نشرتهما صحيفة الأخبار:

■ اتهم طالب في حقوق جامعة الزقازيق بمصر بمحاولة قتله زميلته لرفضها
الاستجابة لحبه والابتعاد عنه، طعنها عدة طعنات بسكين حاد في داخل =

المرأة زهرة المجتمع ، وواسطة العقد المكرمة . .
ولكن انتهى بها الأمر إلى المهانة لتكون كائنة
للطرق ، وخادماً في الخمارات ، وربما تعرضت في
خروجها هذا إلى ما يهدد عفتها ، ويقضي على
مستقبلها ، إنَّ المسؤولية تقع على الرجال والنساء من

= الكلية فأصابها إصابات خطيرة ونقلت إلى المستشفى وتم القاء القبض على
الطالب .

جريدة الأخبار ١٧/١٢/١٩٧٩م

■ تقدم والد فتاة عمرها ١٨ سنة بإبلاغ النيابة العامة، يتهم طبيباً بإجهاض
ابنته ووفاتها بعد نقلها في حالة خطرة إلى القصر العيني . وأمام محكمة
الجنايات برئاسة المستشار شاكر تركي وعضوية أحمد حمادة وأنور الجبالي ،
شهدت شقيقة المجني عليها وهي طالبة بالجامعة أن شقيقتها كانت تعمل
عاملة سوتش بعيادة أحد الاطباء المشهورين ، ووطد علاقته معها منذ ٦
شهور وحملت برغم أنها بكر . وعندما أصبحت في الشهر الرابع توسلت إلى
طبيب آخر لإجهاضها ، وليمنع عنها الفضيحة فأخذ منها ثمانية جنيهات
وأجرى العملية . . ولكن الفتاة شعرت بالأم حادة ، وعرضت حالتها على
طبيب آخر ، فحوّلها للقصر العيني ، حيث أخرج من بطنها بقية أجزاء من
الجنين . . وبعد ١٥ يوماً ماتت الفتاة . فحكمة المحكمة بحبس الطبيب سنة
مع إيقاف التنفيذ لأنَّ الطبيب حاول إجهاض الفتاة بدافع الإنسانية .

الأخبار ١٩/٤/١٩٧٨م

أقول: أوردت القصة لذكر أدلة واقعية على ما تتعرض له المرأة من
أخطار في عملها تنال من كرامتها وعفتها بل وحياتها .
ولكن الخبر يحتمل جوانب أخرى للتعليق : ماذا صنعوا بالطبيب الزاني؟
وما حكم هذا الأب المجرم؟ . . . و . . . و . . .

المؤمنين المتقين، ولا بُدَّ من أن تنطلق صيحات الخير
في وجوه الجائرين، ولكلمة الحق سلطان وأي
سلطان. اللهم أرنا الحقَّ حقاً وارزقنا إتباعه، وأرنا
الباطل باطلاً وارزقنا اجتنابه، والحمد لله رب
العالمين.

الرياض في : ربيع الأول ١٤٠٠هـ .

وكتبه : محمد بن لطفي الصباغ

بسم الله الرحمن الرحيم

تحريم الخلوة بالمرأة الأجنبية والاختلاط المستهتر

إنَّ الخلوة بالمرأة الأجنبية، والاختلاط المستهتر بين الرجال والنساء، حرام في دين الله، وهما من عوامل الهدم لأخلاق أمتنا الاجتماعية والأسرية، ومدعاة غضب الله وعذابه.

فلتق الله في بناتنا ونسائنا، ولنعلم أننا مسؤولون عنهن بين يدي الله الذي ائتمنا عليهن، قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غُلَاظٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾^(١).

لقد حرم الإسلام ذلك تحريماً قاطعاً - بغض النظر عن المستوى الخلقي للرجل والمرأة - فالخلوة حرام ولو كانت بين أصلح الخلق وأتقاهم وبين أية امرأة

(١) سورة التحريم، الآية ٦.

أجنبية، كما حرم الاختلاط المستهتر؛ رعاية منه لمصالح الناس الدنيوية والأخروية، لأنه بذلك يصونهم عن الوقوع في الحرام.

ومما شاع لدى نفر من الموسرين اليوم استخدام الرجال في البيوت، وقيامهم بشؤون البيت الداخلية، ومخالطتهم للنساء. يخرج الرجل من بيته إلى عمله. . أو إلى صديقه. . أو إلى شأن من شؤونه، وقد ترك زوجته مع الخادم الشاب الذي يتفجر حيوية ونشاطاً وقوة، وربما لا يكون معها أحد من الناس، وهي لا تستر منه، وقد رفعت الكلفة بينهما، فهي تأمره وتناديه وتنهاه، وهو بحكم عمله يستجيب، والشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم، وما خلا رجل بامرأة إلا وكان الشيطان ثالثهما، يحبه إليها ويحبها إليه حتى تقع الجريمة.

والمثيرات - في هذه الأيام - كثيرة جداً لا سيما بعد انتشار وسائل الإعلام على نطاق واسع^(١) من إذاعة

(١) وقد زاد من انتشارها رخص ثمنها وخفة وزنها وصغر حجمها ووجودها في السيارات وعموم استعمالها، فإنك تسمع صوتها ليلاً ونهاراً، فإن نجا منها امرؤ في بيته، سمع في الطريق ومن بيوت الجيران الشيء الكثير.

وتلفاز ومسجلات وفيديو وصحافة مصورة ومجلات
مثيرة تتصل بالجنس . وقد يكون هذا الخادم وسيماً ،
وقد يكون الزوج مسناً أو قبيحاً أو ضعيفاً أو شرساً
مخاصماً . فماذا تكون النتيجة إن لم يكن خوف الله
مسيطرأ على الجانبين؟

وهذا القرآن الكريم يحدثنا عن تجربة تعرض لها
سيدنا يوسف عليه السلام ، عندما كان في بيت
العزيز . . لقد تعرّض للفتنة المغرية : ﴿ورأودته التي
هُو في بيتها عن نفسه وغلقت الأبواب وقالت هيت
لك﴾^(١) .

ولولا ان عصمه الله تبارك وتعالى ، فأراه برهان ربه
لكان الأمر الفظيع المستبشع .

وكذلك ما شاع لدى فئة من أتباع الغرب ، ممن لا
يخافون الله ، ولا يرعون حرماته ، من استقبال المرأة
صديق زوجها في حال غيابه ، والسماح له بالدخول
إلى بيتها ، والجلوس معه ، ومؤانسته والتبسط معه في
القول ، وممازحته . . وما إلى ذلك .

(١) سورة يوسف ، الآية ٢٣ .

إن هذه خلوة محظورة ممنوعة شرعاً، ولا يجوز التساهل بها بحجة الثقة بالصديق والزوجة، وليست تحمد عواقبها، ولا يمكن أن يرضى بها إلا إنسان مريض القلب، فاقد الغيرة، عديم المروءة.

ومثله وأشد منه أن تسافر المرأة وحدها، أو مع السائق أو الخادم، وكذلك أن تذهب المرأة إلى الطبيب وحدها^(١)، وتتحقق خلوة محظورة، فيكشف بحكم مهنته عن مواضع في جسدها، ثم يبالغ في الاستفسار بالأسئلة التي تقود إلى الحرام.

وقريبٌ من ذلك ما يفعله بعض الناس من ترك زوجته أو ابنته مع السواق، يذهب بها أنى شاءت، ولا يدري أحد عن طبيعة الحديث الذي يدور بينهما في داخل السيارة إلا الله.

وكذلك فإن الجلسات العائلية - كما يدعونها - التي يختلط فيها الرجال بالنساء وهن في أتم زينة، وقد

(١) نشرت جريدة الشرق الأوسط في عددها ١٣٦ تاريخ ١١/١٢/١٩٧٨م: أن محكمة (هاينغ) في هولندا طلبت من الطبيب (يوهان بردغ) دفع حوالي ٧٠٠ جنيه استرليني كغرامة بعد أن حاول اغتصاب إحدى مريضاته.

ألقين الحجاب وأظهرن المفاتن بحجة أنهم أصدقاء، وقد يكون في هذه الجلسات تبادل الحديث المتبادل، والمزاح الهابط، والنكتة اللاذعة، والتعريض بأمور خاصة. إنّ كلّ ذلك مما لا يميزه دين الله، وهو يعرض كيان الأسرة إلى الانهيار، ويبدل الود بين الزوجين إلى تنافر.

فلقد تقوضت علاقات التراحم والانسجام العائلي في عدد من الأسر، بسبب الاختلاط المستهتر. إذ من المحتمل أن تستيقظ غيرة أحد هؤلاء المختلطين، وذلك عندما يرى زوجته تمازح صديقه، فتثور ثائرتة، ويتهمها بأنها كانت تنظر إليه بعين مملوءة بالإعجاب والعاطفة والميل. . ويتحول جو البيت من ود وثقة إلى خصام واتهامات، وقد تنتهي الحياة المشتركة إلى الطلاق وتشتت الأسرة، وإن لم تقع مثل هذه النتائج المدمرة فلا بدّ أن يبقى أثر ذلك حساسية مفرطة، وشكاً متزايداً، يحطم السعادة.

وأود أن أنقل كلاماً ذكره أستاذنا الشيخ مصطفى السباعي - رحمه الله -، فقد ساق أقوالاً لبعض

الدارسين الأوروبين، فيها عظة لمن كان له قلبٌ أو ألقى السمع وهو شهيد.

قال شيخنا الدكتور مصطفى السباعي - رحمه الله - :

[فمن المعلوم تاريخياً أنّ من أكبر أسباب انهيار الحضارة اليونانية تبرج المرأة، ومخالطتها للرجال، ومبالغتها في الزينة والاختلاط. ومثل ذلك حصل تماماً للرومانيين، فقد كانت المرأة في أول حضارتهم مصونة محتشمة، فاستطاعوا أن يفتحوا الفتوح، ويوطدوا أركان إمبراطوريتهم العظيمة، فلما تبرجت المرأة وأصبحت ترتاد المنتديات، والمجالس العامة، وهي في أتم زينة، وأبهى حلة، فسدت أخلاق الرجال، وضعفت ملكتهم الحربية، وانهارت حضارتهم انهياراً مريعاً].

ثم نقل عن دائرة معارف القرن التاسع عشر قولها:

[كانت النساء عند الرومانيين محباتٍ للعمل، مثل محبة الرجال له، وكن يشتغلن في بيوتهن، أما

الأزواج والآباء فكانوا يقتحمون غمرات الحروب، وكان أهمُّ أعمال النساء بعد تدبير المنزل، الغزْلَ وشغل الصوف].

[ثم دعاهم بعد ذلك داعي اللهو والترف إلى إخراج النساء من خدورهن ليحضرن معهم مجالس الأُنس والطرب، فخرجن كخروج الفؤاد من بين الأضالع، فتمكن الرجل لمحض حظ نفسه من إتلاف أخلاقهن، وتدنيس طهارتهن، وهتك حياتهن، حتى صرن يحضرن المراقص، ويغنين في المنتديات، وساد سلطانهن حتى صار لهن الصوت الأول في تعيين رجال السياسة وخلعهم، فلم تلبث دولة الرومان على هذه الحالة حتى جاءها الخراب من حيث تدري ولا تدري].

ثم قالت دائرة المعارف:

[إننا لسنا أول من لاحظ هذا الأثر السيء الذي يحدثه حبّ النساء للزينة يوماً فيوماً على أخلاقنا، فإن أشهر كتابنا لم يهملوا الاشتغال بهذا الموضوع الخطير.

فكيف النجاة من هذا الداء الذي يقرض مدنيتنا
الحالية ويهددنا بسقوطٍ سريع جداً وإن شئت فقل
بانحطاط لا دواء له؟].

ومن الملاحظ أن عقلاء الأوروبيين بدؤوا يحذرون
قومهم من المصير الذي انتهى إليه الرومان نتيجة
الإفراط في تبرج المرأة واختلاطها، فنجد العلامة
(لويز برول) يقول في مجلة المجلات (المجلد ١١)
تحت عنوان: الفساد السياسي، ما يأتي:

[إن فساد الأسس السياسية وجد في كل زمان،
ومن الغريب المدهش أن عوامله في الزمن الغابر هي
ذات عوامله في الزمن الحاضر، يعني أن المرأة كانت
العامل الأقوى في هدم الأخلاق الفاضلة].

ثم أخذ هذا العالم يقارن بين العلامات المنذرة
اليوم وبين ما كان في عهد جمهورية الرومان حتى
قال:

[لقد كان الرجال السياسيون في آخر عهد

الجمهورية الرومانية يعيشون صحبة النساء ذوات
الطبائع الخفيفة، اللائي كان عددهن بالغاً حدّ
الكثرة، فصار الحال اليوم كما كان في ذلك العهد،
ترى الناس اندفعوا في تيار الحبّ البالغ حدّ الجنون
وراء البذخ واللذات].

وقالت الكاتبة الانجليزية (اللادي كوك) في
جريدة (الايكو):

[إن الاختلاط يألفه الرجال، ولهذا طمعت المرأة
بما يخالف فطرتها، وعلى قدر كثرة الاختلاط تكون
كثرة أولاد الزنا، وههنا البلاء العظيم على المرأة]. ثم
قالت:

[أما أن لنا أن نبحث عما يخفف - إن لم نقل يزيل -
هذه المصائب العائدة بالعار على المدينة الغربية؟ أما
آن لنا أن نتخذ طرقاً تمنع قتل ألوف الآلاف من
الأطفال الذين لا ذنب لهم، بل الذنب على الرجل
الذي أغرق المرأة المجبولة على رقة القلب.

. . يا أيها الوالدان . لا يغرنكما بعض دربهات
تكسبها بناتكما باشتغالهنّ في المعامل ونحوها،
ومصيرهن إلى ما ذكرنا، علموهنّ الابتعاد عن
الرجال، أخبروهن بعاقبة الكيد الكامن لهن
بالمرصاد، لقد دلنا الإحصاء على أن البلاء الناتج من
حمل الزنا يعظم ويتفاقم، حيث يكثر اختلاط الرجال
بالنساء، ألم تروا أن أكثر أمهات أولاد الزنا من
المشتغلات في المعامل والخدمات في البيوت؟ وكثير
من السيدات المعرضات للأخطار، ولولا الأطباء
الذين يعطون الأدوية للإسقاط لرأينا أضعاف ما نرى
الآن . لقد أدت بنا هذه الحال إلى حد من الدناءة لم
يكن تصورهما في الإمكان . . وهذا غاية الهبوط
بالمدينة[^(١)].

إن الإسلام لم يفرض الحجاب على المرأة إلا
ليصونها عن الابتذال والتعرض للريبة والفحش،

(١) منقول عن كلمة للأستاذ السباعي - رحمه الله - في هذا الموضوع نشرتها جمعية
الإصلاح الاجتماعي في الكويت سنة ١٣٨٧هـ - (١٩٦٧م) من صفحة ١٠
إلى صفحة ١٣ .

وعن الوقوع في الجريمة، فكيف يجوز لامرأة مسلمة تؤمن بالله واليوم الآخر أن تخالف أمر الله وترفع الحجاب أمام رجل أجنبي عنها بحجة أنه خادم . . أو سواق . . أو طيبب . . أو بائع . . أو خياط . . أو صديق الزوج . . أو أستاذ سواء كان في قاعة الدرس أو في درس خاص . . أو ما إلى ذلك؟؟ .

وكيف يرضى امرؤ يتقى الله ويخشاه بأن تَحْلُو زوجته أو ابنته مع رجل أجنبي عنها؟؟ إن الإسلام حظر الجريمة ومنع أسبابها المؤدية إليها، لأن من فرط في الأسباب وقع في الجريمة، ومن حام حول الحمى أوشك أن يرتع فيه .

عن النعمان بن بشير - رضي الله عنهما - قال :

سمعت رسول الله ﷺ يقول : « إنَّ الحلال بَيْنَ، وإنَّ الحرام بَيْنَ، وبينهما أمور مشبهات لا يعلمهنَّ كثير من الناس، فمن اتقى الشبهات فقد استبرأ لدينه وعرضه، ومن وقع في الشبهات وقع في الحرام، كالراعي يرعى حول الحمى يوشك أن يرتع

فيه . ألا وإن لكل ملك حمى ، ألا وإن حمى الله محارمه ، ألا وإن في الجسد مضغة ، إذا صلحت صلح الجسد كله ، وإذا فسدت فسد الجسد كله ، ألا وهي القلب»^(١) .

وهناك نوعان من الاختلاط يتهاون فيهما كثير من الصالحين ، ولابدُّ من أن نشير ههنا إلى أنهما معولان يهدمان في كيان مجتمعنا الإسلامي .

أما أولهما : فهو الاختلاط في التعليم ، وهو بعد أن اتسع نطاق التعليم ليس ضرورةً يتعين اللجوء إليها لقلة الطلاب والاساتذة ، كما كان يتذرع بها الذين بدؤوا هذه السنة السيئة ، وإن من أضراره ما نلمسه في الواقع الذي نعيش فيه وتتسرب بعض أنبائه إلى الصحف . . إنه إفساد للخلق ، وهبوط بالتعليم ، وصرف للطاقات في غير مجال الدرس والتعليم .

واننا عندما نستطيع أن نمنعه في بلادنا الإسلامية كلها ، وفي جميع مراحل التعليم ، نكون قد بدأنا

(١) رواه البخاري (الفتح ١/١٢٦) ومسلم ٥/٥٠ .

الخطوة المتقدمة حقاً، ولا يعني ذلك أن نمنع تعليم المرأة أبداً، إن التعلّم حق للمرأة كما هو حق للرجل، لكن في حدود الشرع المطهر.

إن هذه الكلمة المخلصة التي أطلقها وأرفع بها صوتي أرجو أن تأخذ طريقها إلى التنفيذ، يجب أن ينتهي عهد التقليد والتبعية والهدم إلى غير رجعة.

يجب أن يمنع الاختلاط في التعليم طاعةً لأمر ربنا، ورعاية لأخلاق أبنائنا وبناتنا، وسعيًا للمزيد من تحصيل العلم والمعرفة.

وأما ثانيهما : فهو الاختلاط في العمل ، وهو أمر يقع فيه كثير من الطبيين والطيبات ، ولا ينتبه عددٌ منهم إلى أنه اختلاط غير مشروع ، فلا ينكرون هذا المنكر حتى في قلوبهم ، وإذا آلت إلى أحدهم سلطة يستطيع بها أن يمنع هذا الشر أو يكفكف من غلوائه فإنه لا يفعل شيئاً ، لأنه لم يحسّ بأن مثل هذا الوضع غير مشروع . . ترى بعضهم يرسل ابنته أو زوجته لتعمل في وسط مختلط ، دون أن تكون هناك حاجة ملزمة ولا ضرورة مستحكمة .

نعم إن للمرأة الحق في أن تعمل ، كما يدل على ذلك قوله تعالى : ﴿للرجال نصيب مما اكتسبوا وللنساء نصيب مما اكتسبن﴾ .^(١)

ولكن عملها هذا مشروط بأن يكون ضمن حدود الشريعة، وذلك بالأبداً يكون فيه اختلاط مستهتر، ولا خلوة محرمة، وأبداً يعرضها هذا العمل إلى الفتنة، وأبداً تكون طبيعة عملها مخاطبة الرجال، وإلانة القول لهم حتى تتألفهم لصالح العمل الذي تقوم به، وأن تكون هي ملتزمة بالحجاب والحشمة .

هناك مجالات ممتازة لعمل المرأة، كالتعليم، والتوليد، والطب للنساء . . فكم هو جميل أن نجد طبيبات متخصصات في الأمراض كلها ولا تعالج الطبية إلا النساء . . .

وعملها في مثل هذه المجالات لا يقدم لها المنفعة الخاصة فحسب، بل يقدم للأمة كلها النفع الكبير، إذن فالعمل للمرأة بعيداً عن الرجال أمر لا يمانع فيه

(١) سورة النساء، الآية ٣٢ .

الشرع . . ولكن ينبغي أن يبقى في حدود الضرورة
والمحافظة على تنفيذ أحكام الله .

إن عمل المرأة في خارج البيت يحدث اختلالاً في
الحياة الزوجية دون شك، وإن الوضع الطبيعي
للمرأة أن يكون عملها في البيت، وعمل البيت عبء
غير يسير، وإنه ليحتاج إلى تفرغ تام، لا سيما إن كان
هناك أطفال .

أما إن لم يكن هناك ضرورة فإن عملها - كما
ذكرنا - ضارٌّ مؤذٍ أشد الإيذاء، ذلك أن العمل يكون
قد استنفد طاقتها، فتعود إلى البيت ضجرة، متوترة
الأعصاب، لا تستطيع احتمال كلمة من زوجها ولا
من أولادها^(١)، وغالباً ما تكون العلاقات بين الزوجة

(١) نشرت جريدة الأخبار ما يأتي :

المرأة التي كانت تصرخ بأعلى صوتها للمطالبة بمساواتها بالرجل،
أصبحت الآن تصرخ لحمايتها من مضايقة الرجال في العمل . . إن المرأة
عندما دخلت مجال العمل وجدت نفسها وسط غابة من الرجال . . . وكما
تقول (جلوريا تيانم) مديرة تحرير مجلة (ام إس) :

إن المرأة وجدت نفسها في هذا المجال معرضة للخطر . . وتذكر
(جلوريا) أن هناك مئات الحالات التي ظهرت في أوروبا وأمريكا لنمو
ظاهرة الخوف والتوتر لدى المرأة العاملة، لدرجة أن هذه الظاهرة أصبحت
عامة بشكل مثير . . . وقد نشرت عشرات القصص التي تروي ببساطة مدى =

العاملة وزوجها قائمة على أساس ماديّ بحت . .
وكثيراً ما تنشأ خلافات حادة تبدد جو الود والحب،
وإذا قدّمت المرأة من دخلها شيئاً من المساعدة فقدّ
الرجل قوامته ومسؤوليته ولم تعد المرأة - بحكم غيابها
عن المنزل - قادرة على رعاية البيت وتنشئة الأولاد .

وينبغي أن نُقنع بناتنا - لنحول بينهن وبين مخاطر
الاختلاط في العمل - بأنه ليس من الضروري أن
يستتبع تعلّم المرأة أن تعمل خارج المنزل .

= التهديد الذي تقع فيه المرأة في غابة الرجال .

وتستطرد (جلوريا) قائلة : إن هذه الظاهرة قد نوقشت في مؤتمر عام عقد
في نيويورك، حيث روت عشرات النساء كيف تحطمن في عملهن لأهنّ
رفض تحقيق رغبات الرجال الذين كنّ يعملن معهم .

جريدة الأخبار ١١/١١/١٩٧٧م

ونشرت الأخبار في عددها بتاريخ ٢٠/٥/١٩٧٧م عن مراسلها جلال
عيسى في جنيف ما يأتي : (أكد خبراء طب الصناعات أن العمل يضعف من
أنوثة المرأة، وقالوا: لا يشترط أن يكون العمل شاقاً . بل إن الأعمال
المكثية والذهنية وتحمل المسؤولية لها نفس التأثير .) وقالوا: (إن ما تعانيه
المرأة العاملة من متاعب نفسية في أثناء العمل يتعكس على حياة الأسرة
وأكدوا أن العمل يؤثر أيضاً على الرغبة الجنسية لدى المرأة) . وفي الخبر أيضاً
تفصيلات أخرى .

فلتتعلم بناتنا ماشئن من العلوم، ليتوسع إدراكهن، وتكبر عقولهن، وليشاركن في بناء الجيل المسلم المجاهد الجديد. . وإنها المهمة جليلة!!

ومثل الذين يتهاونون في الخلوة والاختلاط الآثم بدعوى أنهم رُبُّوا على الاستجابة لنداء الفضيلة ورعاية الخلق، مثل قوم وضعوا كمية من البارود بجانب نار متوقدة ثم ادَّعوا أنَّ الانفجار لا يكون لأن على البارود تحذيراً من الاشتعال والاحتراق. . إنَّ هذا خيالٌ بعيدٌ عن الواقع، ومغالطةٌ للنفس وطبيعة الحياة وأحداثها.

هذا وقد بطلت الدعوى التي يزعم قائلوها أنَّ الاختلاط يكسر الشهوة، ويهدب الغريزة، ويزيل هذا الجنون الجنسي، ويخفف من الكبت، ويبعد الفساد. ويطلانُ هذه الفرية قائمٌ متحققٌ بزيارة عابرة لأي بلد من بلاد أوروبا. . إن مثل هذه الزيارة تقنع من كان متردداً في تكذيب هذا الادعاء. . فلقد زاد الاختلاط من توقد الشهوة وعرامها. . وزاد من

الفساد . ومثله مثل الظمان يشرب من ماء البحر فلا يزيده شربه إلا عطشاً على عطش .

وإليك مثالاً واحداً - وما أكثر الأمثلة - على أن حياة الغرب تردت إلى الحضيض : فقد ذكرت جريدة الشرق الأوسط أن الطالب الأمريكي (جو فوتس) والبالغ من العمر ١٩ عاماً قد أطلق النار على أستاذه (جيمس بونجي) داخل إحدى قاعات الدروس في مدرسة (سانتا مونيكا) في كاليفورنيا فأرداه قتيلاً على الفور، وذكر بيان لرجال الشرطة صدر في وقت لاحق أن خلافاً قديماً كان قد نشب بين الطالب وأستاذه بسبب التنافس على حب إحدى الطالبات^(١) .

إن الاختلاط لا يحقق للمرأة أي احترام، لأن ما يبدو من الاهتمام بالمرأة في الجلسات المختلطة ليس في حقيقته إلا احتقاراً للمرأة وازدراء بها، لأنهم ينظرون إليها على أنها متعة، ولو كانت عجوزاً لما اهتموا بها أبداً . . أما الإسلام فهو الذي يقدرها حق قدرها،

(١) انظر جريدة الشرق الأوسط العدد ١٤٧، تاريخ ٤/١٢/١٩٧٨م .

ويوجب احترامها أمماً، ورعايتها بنتاً، وإكرامها زوجةً، والمحافظة عليها جارة وأختاً مسلمة .

فانتبهن يا بناتي العزيزات، يا بنات هذا الجيل، إن الرجل لا يحترم إلا المرأة التي تحترم فضيلتها وعفتها وحجابها. . ولا يرى في المترجعة المختلطة بالرجال إلا العوبة يُطاف من حولها للتلهي بها والاستمتاع .

والشيء الغريب العجيب أن أولئك الذين أخذوا يستعيرون حياة الفرنجة لم يستطيعوا أن يتخلوا عن تصورات أمتهم وقيمها وأعرافها، على الرغم من محاولات المائعين المنحلين الكثيرة لزحزحة الأمة عن تقاليدها ومثلها، ولم يدرك هؤلاء المتفرنجون هذه الحقيقة إلا بعد وقوع النكبة المحضة والتعاسة الدائمة .

إن الإسلام عالج هذا الموضوع بصورة جذرية :

١ - فقد جاء الأمر بغضّ البصر، قال تعالى :
﴿ قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ .

وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ آبَائِهِنَّ أَوْ آبَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَائِهِنَّ أَوْ أَبْنَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي أَخَوَاتِهِنَّ أَوْ نِسَائِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ أَوِ التَّابِعِينَ غَيْرِ أُولِي الْإِرْبَةِ مِنَ الرِّجَالِ أَوِ الطِّفْلِ الَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا عَلَى عَوْرَاتِ النِّسَاءِ وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِنْ زِينَتِهِنَّ وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿١﴾ .

وعدّ الشرع النظرة نوعاً من أنواع الزنا، فعن أبي هريرة - رضي الله عنه - عن النبي - ﷺ - أنه قال: «كُتِبَ عَلَى ابْنِ آدَمَ نَصِيْبِهِ مِنَ الزَّانَا فَهُوَ مَدْرُكُ ذَلِكَ لَا مَحَالَةَ: الْعَيْنَانِ زَنَاهُمَا النَّظْرُ، وَالرَّجُلُ زَنَاها الْخَطْيُ، وَالْقَلْبُ يَهْوَى وَيَتَمَنَّى، وَيَصْدُقُ ذَلِكَ الْفَرْجُ أَوْ يَكْذِبُ» رواه البخاري ومسلم وأبو داود والنسائي (٢) .

(١) سورة النور، الآيتان ٣٠، ٣١ .

(٢) البخاري (الفتح ٦/١١ و ٥٠٢)، ومسلم ٥٢/٨، وأبو داود ٢/برقم

وفي رواية لأبي داود: «واليدان تزنيان فزناهما البطش، والرجلان تزنيان فزناهما المشي، والفم يزني فزناه القبل»^(١).

٢ - وجاء الأمر بتحريم الخلوة بالمرأة حتى ولو كان الرجل من أقارب الزوج. . فعن ابن عباس - رضي الله عنهما - أن رسول الله - ﷺ - قال: «لا يخلون رجل بامرأة إلا مع ذي محرم» رواه البخاري ومسلم^(٢). وعن عقبه بن عامر أن رسول الله - ﷺ - قال: «إياكم والدخول على النساء» فقال رجل من الأنصار. أفرأيت الحمو؟ قال ﷺ: «الحمو الموت»^(٣). رواه البخاري ومسلم^(٤). والحمو هو قريب الزوج.

(١) ابو داود ٢/ برقم ٢١٥٣. هذا وإن في تسمية هذه المحرمات زناً، تشبيهاً لهذه المعاصي، وتنظيراً منها، وتخويفاً للناس من الوقوع فيها، لما استقر في نفوس المسلمين من استعظام جريمة الزنا، وكونها من السبع الموبقات. فهذه المعاصي مع أنها محرمة لذاتها، فهي كذلك محرمة لسدّ الطريق التي تؤدي إلى تلك الفاحشة المقيتة. وهذا ما عرف في الفقه الإسلامي بسدّ الدرائع.

(٢) البخاري (الفتح ٦/ ١٤٢)، ومسلم ٤/ ١٠٤.

(٣) قال أبو عبيدة في معناه: يعني فليمت ولا يفعلن ذلك.

(٤) البخاري (الفتح ٩/ ٣٣٠)، ومسلم ٧/ ٧.

٣ - إن في تأديب الله لزوجات رسوله محمد ﷺ وتحديد علاقتهن بالرجال عظة بالغة ودرسا عظيماً. فلنقرأ الآيات التي تحدثت عن ذلك ففيها الكفاية لمن أراد الهداية .

قال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لَأزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلَابِيبِهِنَّ ذَلِكَ أَدْنَى أَنْ يَعْرِفْنَ فَلَإِ يُؤْذِينَ وَكَانَ اللَّهُ غَفوراً رَحِيماً ﴾^(١) .

وقال تعالى : ﴿ يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِنَ النِّسَاءِ إِنْ اتَّقَيْتُنَّ فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلاً مَعْرُوفاً . وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى وَأَقِمْنَ الصَّلَاةَ وَآتِينَ الزَّكَاةَ وَأَطِعْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً . وَاذْكُرْنَ مَا يُتْلَى فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ وَالْحِكْمَةِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ لَطِيفاً خَبيراً ﴾^(١) .

(١) سورة الأحزاب، الآية ٥٩ .

(١) سورة الأحزاب، الآيات ٣٢ - ٣٤ .

وقال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ
النَّبِيِّ إِلَّا أَنْ يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَى طَعَامٍ غَيْرَ نَاطِرِينَ إِنَّهُ^(٢)
وَلَكِنْ إِذَا دُعِيتُمْ فَادْخُلُوا فَإِذَا طَعَمْتُمْ فَانْتَشِرُوا وَلَا
مُسْتَأْنَسِينَ لِحَدِيثٍ إِنَّ ذَلِكُمْ كَانَ يُؤْذِي النَّبِيَّ فَيَسْتَحْيِي
مَنْكُمْ وَاللَّهُ لَا يَسْتَحْيِي مِنَ الْحَقِّ وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا
فَاسْأَلُوهُنَّ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ ذَلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ
وَقُلُوبِهِنَّ وَمَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُؤْذُوا رَسُولَ اللَّهِ وَلَا أَنْ
تَنْكِحُوا أَزْوَاجَهُ مِنْ بَعْدِهِ أَبَدًا إِنَّ ذَلِكُمْ كَانَ عِنْدَ اللَّهِ
عَظِيمًا^(٣) .

وزوجات رسول الله ﷺ هنّ أمهات المؤمنين ،
وهنّ موضع الاحترام والتكريم ، وهنّ محرمات على
المسلمين ، وقد بلغن منزلة في الدين والتقوى ليس
فوقها منزلة ، وفي بيوتهنّ تُتلى آيات الله والحكمة ،
ويشهدنّ تنزل الوحي والتطبيق العملي للإسلام في
مصدره الكتاب والسنة ، والصحابة جيل مثالي ، سما

(٢) أي نضجه .

(٣) سورة الأحزاب ، الآية ٥٣ .

إلى أعلى مستوى يمكن أن يبلغه جيل ، وقد شهد لهم رسول الله ﷺ بالفضل ، ورضي الله عنهم ورضوا عنه ، قال تعالى : ﴿ والسابقون الأولون من المهاجرين والأنصار والذين أتبعوهم بإحسان رضي الله عنهم ورضوا عنه وأعد لهم جنات تجري تحتها الأنهار خالدين فيها أبداً ذلك الفوز العظيم ﴾ (١) .

ومع ذلك فقد حدّد علاقة هؤلاء الزوجات بأولئك الرجال الأفاضل على نحو ما نطقت به الآيات الكريمة التي أوردناها : فلقد أمرن بأن يُدنين عليهنّ من جلابيبهنّ ، ويلزمن بيوتهنّ ، ولا يتبرجن تبرج المرأة في الجاهلية ، وبألا يخضعن في القول في مخاطبة الرجال ، فيطمع الذي في قلبه مرض ، بل يتكلّمَن بمقدار الضرورة ، وقد قرّن تبارك وتعالى هذا بأمرهنّ بإقامة الصلاة ، وإيتاء الزكاة ، وطاعة الله ورسوله ، ولقد كان ذلك كله ﴿ ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً ﴾ وأمر المسلمين - إذا أرادوا أن يسألوهنّ متاعاً - أن يسألوهنّ من وراء حجاب ،

(١) سورة التوبة ، الآية ١٠٠ .

فيحدثونهن من خلف ستار بفصل بينهم وبينهن،
ويقول تعالى: ﴿ذَلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ﴾ .

ولا يقولنَّ قائل: إنَّ هذا خاصٌّ بزوجات النبي
ﷺ دون سائر المسلمات، إنَّ هذا مطلوب من
المسلمات جميعاً، كما هو مطلوب من أمهات المؤمنين
وذلك من وجهين:

الأول: أن رسول الله ﷺ قدوة للمسلمين،
وسلوكه مدرسة متبعة، يقول تبارك وتعالى: ﴿لَقَدْ
كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ
وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾^(١).

والثاني: إذا كان مثل هذا الاحتياط في السلوك
والمعاملة مطلوباً من أمهات المؤمنين، وهنَّ كما ذكرنا
من الاستقامة والتقوى، وهنَّ ما قررنا من الحرمة
وجلاله القدر عند جميع المؤمنين الصادقين، فالمسلمات
الأخريات أحوج إلى الأخذ بهذا الاحتياط.



(١) سورة الأحزاب، الآية ٢١ .

هذا وإني أرى ألا تخلو هذه الكلمة المتواضعة من التنبيه إلى رأي خاطيء يقع فيه كثير من الناس، بعضهم مخطيء عن اجتهاد، وأكثرهم مغرض دسّاس، وذلك عندما يعمدون إلى الاستشهاد بحوادث أوردتها كتب السنة، فيريدون أن يعمموها ويسحبوها على ما يقع اليوم من اختلاط مستهتر هدام، فقد كتب بعضهم^(١) مقالات في صحف ومجلات، وردّ عليهم آخرون في مقالات ورسائل، ولست أريد أن أدخل في تفصيلات الرد عليهم، ويكفيني هنا أن أنبه إلى القولة الباطلة، وأن أكشف عن القصد السيء عند أكثر القائلين بها، والله يقول الحق وهو يهدي السبيل.

فلتنبه يا عباد الله، ولنдрأ عن أنفسنا الوباء والخطر قبل حلوله، ولنحذر مكر الشيطان. . فإنه شر مستطير على أنفسنا وأهلينا وأمتنا.

(١) من هؤلاء الأستاذ أحمد حسن الزيات، والشيخ أحمد حسن الباقوري وغيرهما.

ولنستجب لدعوة الله نسعد في الدنيا والآخرة
﴿يا أيها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول إذا
دعاكم لما يُحْيِيكُمْ واعلموا أن الله يحولُ بين المرء وقلبه
وأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ واتقوا فتنةً لا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا
منكم خاصة واعلموا أَن الله شديدُ العقاب﴾^(١).

والحمد لله رب العالمين

محمد بن لطفی الصباغ

(١) سورة الأنفال، الآيتان ٢٤، ٢٥.

فسح وزارة الإعلام رقم ٥٥٢٢/م وتاريخ ٢٣/٨/١٤١١هـ

مطبعة نسفيور تلفون ٤٩٨٠٧٨٠ - ٤٩٨٠٧٧٦ * الرياض